مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العـدد: 03 (2024)، ص: 440-430

أثر أرسطو في اتجاه ابن رشد النقدي من خلال فاعلية الحوار واختلاف المعيار

Aristotle's influence towards Ibn Rushd criticism through the effectiveness of the dialogue and the difference in the standard.

د/ طيبي فتيحة[1]

[1] جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، taibifatiha81@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/06/26 تاريخ القبول: 2024/09/08 تاريخ النشر: 2024/10/01

ملخص:

لا يعقل أن نذكر ابن رشد دون أن نذكر أرسطو لما بينهما من تقارب فكري رغم ما بينهما من تباعد زمني.

عمل ابن رشد تحت وصاية أرسطو حاذيا حذوه حذو النعل بالنعل في كثير من الأحيان الأخرى، وفي كثير من الأحيان تحرر من قيود التبعية ولم يكتف بالتفسير فقط بل أضاف إلى أفكار الفيلسوف بعضا مما جادت به قريحته العربية المسلمة فمن يعيد النظر كرتين في فكر الشارح يجد أنه أقام حوارا مع أرسطو وتفاعل معه عن طريق ترجمة آثاره لكن اختلاف المعيار واختلاف الثقافة والمثل العليا بين العرب واليونان جعل لكل واحد منهما بصمة خاصة ميزت فكره.

وتدور إشكالية هذا المقال حول عدة أسئلة يحاول هذا المقال الإجابة عنها ومن هذه الأسئلة: هل تدين الثقافة العربية للثقافة اليونانية؟ وهل أعاد ابن رشد الاعتبار للفلسفة؟ ولماذا لقب ابن رشد بالشارح الأكبر؟ وهل اكتفى ابن رشد بشرح وتفسير أفكار أرسطو أم أن له أضافات فكرية حررته من قيود التبعية الرجعية.

كلمات مفتاحية: أرسطو، ابن رشد، التفاعل، اختلاف المعيار، المسعى التوفيقي، الاتجاه النقدي، الشعر، التخييل، المحاكاة، التراجيديا.

Abstract:

It is not reasonable to mention Ibn Rushd without mentioning Aristotle because of the intellectual closeness between them, despite the temporal distance between them.

Ibn Rushd worked under the tutelage of Aristotle, following his example in many other instances. He was freed from the constraints of subordination and was not satisfied with interpretation only, but added to the philosopher's ideas some of what his Arab Muslim culture had argued. Whoever reconsiders the thought of the commentator two times will find that he established a dialogue with Aristotle and interacted. With him by translating his works, but the criteria differ and there is a difference The culture and ideals between the Arabs and the Greeks left each of them a special imprint that distinguished their ideas.

The problem of this article revolves around several questions that this article attempts to answer, including: Is Arab culture indebted to Greek culture? Did Ibn Rushd return

philosophy to philosophy? Why was Ibn Rushd called the greatest interpreter? Was Ibn Rushd satisfied with explaining and interpreting Aristotle's ideas, or did he have intellectual additions that freed him from the constraints of reactionary dependency?
Keywords: Aristotle, Ibn Rushd, interaction, difference in standards, compromise endeavor, critical trend, poetry, imagination, simulation, tragedy.

***المؤلف المرسل:** د/ فتيحة طيبي

1. مقدمة:

لا يمكن الحديث عن ابن رشد دون الحديث عن أرسطو لما بين الرجلين من تقارب فكري رغم ما بينهما من تباعد زمني فحب الحكمة جمعهما.

"ولد أرسطو طاليس سنة 384 ق. م وفي هذا العام كان قد انقضى على موت سقراط خمس عشرة سنة بينما كان أفلاطون في الثالثة والأربعين من عمره ومضى على تأسيس أكاديميته عامان أو أقل... لم يكن أرسطو-كسقراط وأفلاطون-آثينيا ولكنه ولد ونشأ في ظروف ثقافية أخرى قد تختلف قليلا أو كثيرا عن الظروف الحضارية الخاصة التي كانت تتميز بها أثينا" (أرسطو، د ت، صفحة 11). كان أبوه طبيبا ولأن هذه المهنة يتوارثها الأبناء عن أسرهم فإن أرسطو هيء منذ صباه للتدريب على مهنة والده وأجداده.

وابن رشد هو "أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ولد سنة 520 هـ (1126م) في بيت علم وجاه واتصل ابن رشد ببلاط الموحدين ونال حظوة فيه، وفي سنة 565 أصبح قاضي قرطبة ولما أراد ابن طفيل أن يعتزل التطبيب في بلاط الموحدين (578هـ) خلفه فيه ابن رشد بتوصية من ابن طفيل نفسه وكانت وفاته في مراكش سنة 595 هـ (1198م)" (فروخ، 1981، صفحة 524). ابن رشد هو "الفيلسوف الوحيد في أسرة من الفقهاء والقضاة كان أبوه قاضيا، وكان جده قاضي القضاة بالأندلس" (محمود العقاد، 2013، صفحة 19).

روى صاحب كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" قائلا: "أخبرني الحكيم أبو الوليد عنه: قال استدعاني أبو بكر بن طفيل يوما فقال لي: سمعت أمير المؤمنين يشتكي من قلق عبارة أرسطو طاليس أو عبارة المترجمين عنه ويذكر غموض أغراضه، ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا لقرب مأخذها على الناس، إذا كانت لديك القوة الكافية لذلك، فلا تتردد في القيام به. أتمنى أن تستطيع تحقيق ذلك بناءً على ما أعرفه من ذكاء عقلك ووضوح فكرك وقوة إرادتك في العمل. هذا ما دفعني لتلخيص ما قرأته من كتب الفيلسوف أرسطو" (محمود

العقاد، 2013، صفحة 09). قام ابن رشد بالدفاع عن الفلسفة وتصحيح بعض الفاهم الخاطئ لعلماء وفلاسفة سابقين له مثل ابن سينا والفارابي فيما يتعلق ببعض نظريات أفلاطون وأرسطو..

ابن رشد، واحد من أعظم الفلاسفة في الإسلام وأبرزهم في العصور الوسطى، وقد ترك أثرًا كبيرًا في التفكير الأوروبي المتوسط. وكانت عبقرية ابن رشد تتجلى في أنه نظر إلى الدين من جانبه الغيبي ومن جانبه الاجتماعي معا، وفي أنه أراد أن يثبط العامة عن التوسع في الجانب الأول (وهو جانب نظري في الأكثر) للاهتمام بالجانب الثاني (وهو الجانب العملي في الحياة الإنسانية)" (فروخ، 1981، صفحة 524). إذن أرسطو هو ثالث ثلاثة (سقراط وأفلاطون وأرسطو) وابن رشد هو ثالث ثلاثة (الفارابي، وابن سينا وابن رشد). كذلك من الأمور التي جمعت الرجلين مهنة الطب النبيلة فكل منهما تشرب الروح العلمية ومال نحو التحليل وتفضيل البحث التجريبي على التأمل النظري.

فتنت أفكار أرسطو "رشد ابن رشد فسماه "الإنسان الأكثر كمالا" وكرس سنيَّ عمره لتلخيص مؤلفاته وشرحها بلسان عربي مبين، فاندمجت خواطر الفيلسوف اليوناني بأفكار فيلسوف الأندلس إلى أن وجد نفسه حائرا بين العقل والايمان فقرر مقاربتهما للتوفيق بينهما ولِمَ لا؟ فالفلسفة لا تخلو من الإيمان والإيمان لا يخلو من الفلسفة، أراد ابن رشد في كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، إثبات التوافق بين شريعة الحكمة وحكمة الشريعة، كما أشار إليه" (جهامي).

لُقِّبَ ابن رشد بـ "الشارح الأكبر" نظرًا لأنه كان أفضل من شرح ما جاء به أرسطو، وشروحه تُعَدّ أفضل شروح نعرفها في تاريخ الفلسفة. وعلى الرغم من أنه كان فيلسوفًا مبدعًا ذا فلسفة خاصة، إلا أن البعض اعتبره تلميذًا لأرسطو، على الرغم من مرور 16 قرنًا بينهما. وقد تبنى ابن رشد معظم آراء أرسطو في الطبيعة وما وراءها.. نظر ابن رشد إلى نصوص أرسطو نظرة الفقيه أو المتكلم للنص القرآني أي نظر إليه نظرة سلفية غير نقدية فكان أن رفع من شأن البرهان حاذيا في ذلك أرسطو حذو النعل بالنعل. وصف العقاد فكر ابن رشد قائلاً: إن هذا الفكر يتميز بالفهم الصادق، وجودة الفهم، والصدق في التعلم والتعليم. وسلامة فهمه تكمن في اهتمامه بالتحسين والترقي. ولا جرم، أعظمه كان الواجب هو التفسير والجمع، بينما لم يكن يكرس كثيرا للإبداع والابتكار، وكانت أفكار فيلسوفنا أساسا للبحث المنطقي والعلمي، قليل التفكير الصوفي، يخشى رهبة المجهول، وكأنه يشعر بها عن قرب ويشعر بها باستمرار" (محمود العقاد، 2013، الصفحات 53-54).

عمل ابن رشد تحت وصاية أرسطو، لكن من يعيد النظر في فكر الرجل يجد أنه أقام حوارا مع أرسطو وتفاعل معه عن طريق ترجمة آثاره لكن اختلاف المعيار بينهما جعل لكل واحد منهما صبغة خاصة انفرد بها. أفاض ابن رشد في تفسير أفكار أرسطو ولكنه لم يكتف بالتفسير فقط بل أضاف إليها بعضا مما جادت به قريحته العربية المسلمة. "كان

لمعرفة ابن رشد بكتاب السياسة لأفلاطون وبكتاب الشعر لأرسطو أثر فيه اتجاه ابن رشد في النقد الأدبي ومع أن معيار النقد اليوناني مختلف عن معيار النقد العربي لاختلاف فنون الشعر وموضوعاته بين اللغتين قليلا أو كثيرا ولاختلاف الثقافة والمثل العليا لدى العرب واليونان، فإن ابن رشد أراد أن يستفيد من آراء الفيلسوفين اليونانيين العظيمين في الحكم على الشعر العربي وابن رشد لم يتقيد بتفاصيل آراء الفيلسوفين العظيمين وذلك راجع إلى خطة ابن رشد في شرح كتب أرسطو إذ كان يتخذ الشرح لتلك الكتب –في بعض الأحيان- وسيلة إلى إبداء رأيه هو في هذا المنحى فصّل الكلام على التشبيه والكناية كما ألفهما العرب" (فروخ، 1981، صفحة 525).

استطاع ابن رشد بفكره الفلسفي أن يتجاوز حدود الأندلس والمشرق العربي إلى أن ضجت به أروقة الغرب الفلسفية، ناقلا فكرا عربيا مطعّما بفكر يوناني، فالفلسفة ليست حكرا على أحد. إن المطلع على مؤلفات ابن رشد يعلم علم اليقين أن معظم ما خلفه من آثار فلسفية وغيرها من الكتب هي عبارة عن تلاخيص وشروحات لمؤلفات أرسطو. "لذا عرف ابن رشد بالشارح وهو اللقب الذي أطلقه عليه الشاعر الإيطالي دانتي أليغييري في كتاب الملهاة الإلهية غير أن آخرين رأوا فيه فيلسوفا أعلى شأن الفلسفة العربية، والحقيقة هي أن أبا الوليد لم يبتكر أمورا جديدة وكثيرة في الفلسفة بل انطلق من فكر أرسطو وآراء أسلافه ومعاصريه كالفيلسوف العربي الكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة والغزالي وبنى عليها نظريات استخلصها من الأفلاطونية المستحدثة Neoplatonisme مضيفا إليها بعض آرائه الخاصة، وهو مع ذلك لم يدّع يوما بأنه ابتكر مذهبا فلسفيا جديدا وفي الواقع نرى ابن رشد يتناول النصوص "الأرسطية" بالشرح والتعليق فقرة فقرة وعبارة عبارة، ثم يحلل معانيها تحليلا دقيقا وعميقا، إذ كان يعتقد أن مذهب أرسطو إن فهم على حقيقته لا يتعارض مع أرقى معرفة يمكن أن يبلغها إنسان فأرسطو بالنسبة إليه هو أسمى صورة تمثل فيها العقل الإنساني حتى أنه ليفضل تسميته بالفيلسوف الإلهي ولم يكتف أبو الوليد بذلك بل راح يصحح بعض أخطاء الفارابي وابن سينا ويرد على علماء الكلام وينتقد فلسفة الغزالي كان هم ابن رشد بإيجاز أن يوفق بين الفلسفة والدين" (جهامي، صفحة 05).

أقام ابن رشد حوارا فاعلا مع أرسطو حين ترجم كتابه فن الشعر من خلال تلك اللمسة الخاصة لابن رشد التي تجلت في التعديل والإضافة وإبداء الرأي وهذا يعني أن ابن رشد تجاوز فكرة الترجمة اللغوية واستبدلها بالترجمة الحضارية استطاع من خلالها أن يستنطق الرجل من خلال كتاب فن الشعر. "كثيرون جدا ممن أفاضوا في دراسة قضايا هذا الكتاب، الذي استطاع –رغم ايجازه وجفافه وغموض بعض فقراته– أن يتحكم في مفاهيم النقد الأدبي في أوربا، حقبة لا تقل عن ثلاثة قرون ومن ثم لا يعد من أخطر الأعمال الأدبية الكلاسيكية الباقية تأثيرا فحسب وإنما من أعظم إنجازات الذهن الأدبي في تاريخ البشرية" (أرسطو، د ت، الصفحات 03-04).

أثر أرسطو في اتجاه ابن رشد النقدي من خلال فاعلية الحواراختلاف

رغم وفرة الإنتاج النقدي الدرامي في العصور التي تلت أرسطو إلا أن كتاب فن الشعر لا يزال مدخلا مفروضا على الباحث المحدث الذي يعالج مسائل التراجيديا أو يتفحص أصول الشعر الملحمي. "إن هذه السطور العبقرية–التي أدلى بها أرسطو-كلما زدناها تأملا وتمحيصا زادتنا علما بأسرار الدراما حتى لكأنها قد استوعبت وحدها أغلب ما كان يمكن أن يقال في أصول الدراما خلال قرون طويلة لو لم توجد أصلا وبهذا لا يكاد أرسطو يترك لغيره من بعده إلا القليل كي يسوقه في هذا الموضوع" (أرسطو، د ت، صفحة 04).

والمقصود بالسطور أن كتاب فن الشعر على صورته الحالية ليس إلا جزءا باقيا من عمل أرسطي كبير والجدير بالذكر أن فيلسوف العرب ابن رشد أثناء تلخيصه لهذا الكتاب قد تنبه إلى أنه ناقص وذلك في قوله:" فهذا هو جملة ما تؤدى إلى فهمنا مما ذكره أرسطو في كتابه هذا من الأقاويل المشتركة لجميع أصناف الشعر والخاصة بالمديح أعنى المشتركة منها أيضا للأكثر أو للجميع وما ذكر في هذا الكتاب من الفصول التي تختلف عن أصناف الشعر الأخرى عندهم، وتختلف عن صنف المديح، فهي خاصة بهم. وعلى الرغم من ذلك، لا نجد الكثير من ذلك المذكور في هذا الكتاب الذي وصلنا، بل نجد بعضه فقط. وهذا يشير إلى أن هذا الكتاب لم يترجم بشكل كامل، وأنه لا يزال هناك الكثير من الأصناف الشعرية التي لم يتم التطرق إليها في هذا الكتاب والتي هم قد وعدوا بالتحدث عنها في بداية الكتاب. والشيء الوحيد الذي نقص من هذا الكتاب هو الحديث عن صناعة الهجاء" (أرسطو، د ت، الصفحات 05-06). والمقصود بشعر المديح عند ابن رشد هو الشعر التراجيدي والمقصود بالهجاء هو الشعر الكوميدي.

إذن استطاع كتاب فن الشعر دون أي أثر يوناني آخر-أن يزاحم-في عصره الذهبي–الكتاب المقدس نفسه من حيث الاهتمام بتحقيقه وطبعه ودراسته وتفسيره (أرسطو، د ت، صفحة 10). وهذا ما جعل الفلاسفة المسلمين يحتفون به ويطلقون عليه بحق اسم المعلم الأول. قيل: إن الثقافة العربية تدين للثقافة اليونانية لأن دراسة النقد عند الفلاسفة المسلمين لا تتضح إلا بالإحاطة بجوانب النقد عند اليونانيين ولكن مع ذلك لا ننكر الإضافات التي قدمها العرب والتي تعكس تمكنهم في كثير من الأحيان.

تحدث ابن رشد عن المحاكاة الشعرية فقال:" المحاكاة الشعرية هي ذلك الإلهام الخلاق الذي به يستطيع الشاعر أن يوجد شيئا جديدا على الرغم من استخدامه لظواهر الحياة وأعمال البشر" (ابن رشد، صفحة 57). ويعتبر ابن رشد المحاكاة هي العمود الأساس في المديح وربط بين المحاكاة والتشبيه حيث قال: "والتشبيه والمحاكاة هي مدائح الأشياء التي في غاية الفضيلة" (ابن رشد، صفحة 121).

تعتبر المحاكاة عند ابن رشد مرادفة للتخيل، حيث تبقى محصورة في إطار الصور الحسية التي يتم التعبير عنها بالتشبيه، وتليها الاستعارة التي تعتمد على التشخيص. يعتبر ابن رشد أيضًا أن المحاكاة هي أحد أنواع التمثيل (ابن رشد،

صفحة 122). "إذا نظرنا في عمل الفارابي (المعلم الثاني)–وقد لعب دور الموجه لما بعده كما سلف - قد برزت موهبة ابن رشد بوضوح، حيث كانت تظهر له ما لم يظهر لغيره، وكذلك كانت مقدمة ابن سينا والجزء الأول من تلخيصه. يمكننا أن نرى أن هذه الأعمال واضحة في أهدافها، وهي: 1- تحرير عمل أرسطو من التفاصيل المحلية التي تعود إلى عادات اليونانيين في أدبهم، وتحريره من الأمثلة اليونانية سواء استبدلت بأمثلة عربية أو لم تستبدل. 2- شرح المفاهيم العامة وتزويدها بأمثلة عربية (العمري، 1995، صفحة 74). وهذا ما جعل هذه الأعمال تتراوح بين شروح وتلخيصات.

قد برزت موهبة ابن رشد بوضوح، حيث كانت تظهر له ما لم يظهر لغيره، وكذلك كانت مقدمة ابن سينا والجزء الأول من تلخيصه. يمكننا أن نرى أن هذه الأعمال واضحة في أهدافها، وهي: 1- تحرير عمل أرسطو من التفاصيل المحلية التي تعود إلى عادات اليونانيين في أدبهم، وتحريره من الأمثلة اليونانية سواء استبدلت بأمثلة عربية أو لم تستبدل. 2- شرح المفاهيم العامة وتزويدها بأمثلة عربية. " (أرسطو، د ت، صفحة 21).

من المسلم به أن كتابي أرسطو "فن الشعر" و"الخطابة" هما "الممثلين الشرعيين لفكره النقدي الذي بقي حتى الآن فبفضل هذين الكتابين تطور الأدب الغربي إلى مرحلة ناضجة، حيث تم دعمه بمناهج جديدة في التنظيم وأفكار أصيلة وعميقة" (أرسطو، د ت، صفحة 22). ابن رشد جعل الشعر يقوم على عنصرين مهمين جدا وهما المحاكاة والوزن ليميز بهما الشعر عن النثر وصنع مقابلة بين التراجيديا (المأساة) اليونانية والموشحات والأزجال الأندلسية. وصف ابن رشد الأمة العربية بأنها أمة غير طبيعية وهي قضية أثارت جدلا كبيرا بين النقاد والباحثين.

أثبت ابن رشد أن اليونان وأهل الأندلس هم من الأمم الطبيعية، في حين نفى أن يكون العرب من بينهم. وهذا يشير إلى أن العادات الحضرية التي كانت متبعة من قبل الأمم الأولى، ساعدتهم على التطور وتكوين الأمة. وعاشوا في مجموعات كبيرة، بالمقابل العرب كانوا يعيشون في قبائل وعشائر. وقد وصف ابن رشد الأمة العربية بأنها غير طبيعية، بسبب تأكيده الشديد على الأثر الأخلاقي والتربوي والسياسي للشعر (أرحيلة، 1999، صفحة 929).

تساءل محمد خلف الله عن الهدف الذي يرمي إليه ابن رشد، ويقول: "هل يقصد بها أن تكون على مستوى معين من البدائية والفطرية؟ أم يقصد بها تلك الأمم قبل أن تتأثر بتشريعات سماوية أو أحوال اجتماعية طارئة؟ يجب ملاحظة أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة" (خلف الله، د ت، صفحة 145).

كانت نية ابن رشد واضحة في تفكيره بالتوفيق بين عمله وذلك يتمثل في إعادة تلك القوانين التي شعر بها العرب إلى ما ورد في كتاب "الشعر" و"الخطابة" لأرسطو" (العمري، 1995، صفحة 76).

وفي قول ابن رشد: وإذا قرأت ما كتبناه هنا، أدركت أن أهلنا اللغويين ليس لديهم إلا القليل من الإحساس بقوانين الشعر، بخلاف ما هو موجود في كتب أرسطو والبلاغة، كما قال أبو نصر هو كيفية إرجاع هذه القوانين إلى هذه، أنت لا تختبئ أيضًا." (ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ضمن أرسطو فن الشعر، 1953، صفحة 250). إن فاعلية الحوار مع الفرابي واضحة بقوة في نص، وابن رشد ابن رشد قرأ أعمال الفارابي وأشار إليها عدة مرات، ومن ثم قام بتفصيل هذا النهج بشكل أعمق من حيث النظرية والتطبيق.

ابن رشد يقول إن الهدف من هذا القول هو تلخيص ما ورد في كتاب أرسطو طاليس حول الشعر والقوانين الكلية المشتركة لجميع الأمم أو معظمها..." (ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ضمن أرسطو فن الشعر، 1953، صفحة 201).

لا يهمنا الحوار بين ابن رشد والفارابي بقدر ما يهمنا الحوار الفعال بين ابن رشد وأرسطو من خلال الفعل قال (أرسطو) والضمير أنت (ابن رشد).

لذلك يستحضر ابن رشد في شرحه طرفين: غائب يتحدث عنه، ومستحضر يخاطبه. يستحضر الأول من خلال استخدام الفعل "قال"، ويستحضر الثاني من خلال استخدام ضمير المخاطب "أنت". (العمري، 1995، صفحة 76).

لم يكن ابن رشد ظاهريا أي أنه لم يكتف بظاهر نصوص أرسطو بل راح يؤولها ويحاورها ذلك أن التأويل هو مظهر من مظاهر الحوار الفعال بين ابن رشد وأرسطو.

"أثناء البحث عن الكليات، تم التطرق إلى مفهومي المديح والهجاء ودور المترجمين والملخصين الشراح. وبسبب تفسيرات عديدة لهذا الموضوع، قدمنا هنا توضيحًا لمفهوم ابن رشد للمديح والهجاء. ابن رشد اعتمد على ثنائية بسيطة، الإيجاب والسلب، في تفسير حديث أرسطو عن أنواع المحاكاة، حيث اعتبر المديح إثباتًا والهجاء سلبًا" (العمري، 1995، صفحة 77).

يوضح ذلك قول ابن رشد: "أعني بصناعة المديح مديح الأفعال الجميلة وأعني بصناعة الهجاء هجاء الأفعال القبيحة" (ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ضمن أرسطو فن الشعر، 1953، صفحة 207).

توجد منطقة بين بينية بين مفهومي الإيجاب والسلب وهي مفهوم ثالث سماه ابن رشد ومن قبله ابن سينا بالمطابقة وهي حالة حياد بين المديح والهجاء، أي الحياد المرشح لأن يصبح إيجابا أو سلبا بحسب الإضافات أو القرائن. جاء هذا المفهوم الأخير بعيدا عن النص الأرسطي.

وهذا ما جعل ابن رشد يعتقد في آخر المطاف أن ما لم يصل من كتاب أرسطو يمكن أنت يفهم من خلال ما وصل إذ بضدها تتميز الأشياء (العمري، 1995، صفحة 77). وهذا يعني أنه استطاع أن يبني تصورا عن الهجاء من خلال ما قيل عن المديح.

تتجلى وضوحًا المسعى التوفيقي في أعمال ابن رشد، مثل فصل المقال بين الحكمة والشريعة وتوضيح الاتصال بينهما. وعلى الرغم من ذلك، فقد صدرت في حقه أحكام جازمة اتهمته بالإسقاط وسوء الفهم لآراء أرسطو.

ابن رشد هو الوحيد الذي اختلفت ترجمته عن باقي الترجمات والشروح. فقد لوحظ عليه سوء الفهم للمصطلحات الواردة في الكتاب ورأى البعض أنه أخطأ في ترجمته وذلك يرجع إلى تخلصه من الأمثلة التي أعاد ابن رشد ترجمة النصوص الأدبية اليونانية واستبدلها بالنصوص العربية من شعر وآيات قرآنية. وهذا ما جعل ترجمته تختلف عن ترجمة أرسطو، حيث قام بدمج أقوال أرسطو مع أقواله الخاصة في كتابه الذي يعتبر مستقلاً.

ربما يعود السبب في ذلك لانبهار بعضهم بتقدم الأدب الغربي في الخمسينيات الذين اعتبروا أن هذا التقدم جاء نتيجة الفهم الصحيح المثمر لكتب أرسطو وهذا ما جعلهم يلومون المترجمين العرب الذين أضاعوا الفرصة من هؤلاء ذكر محمد العمري في مقاله، وعبد الرحمن بدوي لم يجد تلخيص ابن رشد مفيدًا في تحقيق الترجمة التي اعتمد عليها، وقال:

"ما يميز تلخيص ابن رشد هو محاولته تطبيق قواعد أرسطو على الشعر العربي، ولكنه أخطأ في فهم مفهوم التراجيديا كمديح، مما أدى إلى تشويه الشواهد المستمدة من الشعر العربي وجعلها غير صحيحة بسبب أساس الفهم الخاطئ" (بدوي، الصفحات 55-56). "حال المنظر في إطار الترجمة كحال من يرقص في الأغلال" (العمري، 1995، صفحة 79).

يوافق هذا الرأي على ما قاله إبراهيم حمادة في ترجمته لكتاب فن الشعر حيث وصف تلخيص ابن رشد بأنه متأثر بسوء فهم الأعمال العربية السابقة التي تناولت كتاب فن الشعر، وزاد عليه سوءا بفهم مسبق عربي مفروض على تعاليم أرسطو الملتوية والمطبقة بشكل فاسد، ما عدا في بعض الحالات النادرة" (أرسطو، د ت، الصفحات 50-51).

ثم يشير إلى ابن رشد في حديثه عن المحاكاة قائلاً: "لا شك أن فهم ابن رشد للتذكر في الشعر الغنائي العربي يختلف عن فهم أرسطو للتعرف بالتذكر في الشعر الدرامي اليوناني" (أرسطو، د ت، صفحة 56).

يقول عبد الرحمن بدوي: "وهكذا كان يقوم بتعديل الشواهد اليونانية التي يستخدمها أرسطو، ويستبدلها بشواهد من الشعر العربي، ولكن بطريقة تزييفية تجعلها غير مفيدة في فهم أفكار أرسطو. ونتيجة لذلك، كانت

التلخيصات التي يقدمها لا تتماشى مع النص الأصلي ولا تساعد في فهم أفكار أرسطو بشكل صحيح" (بدوي، صفحة 56).

وما قيل عن تلخيص ابن رشد يقال عن ابن سينا والفارابي فالمطلع على هذه التلخيصات في نظر بدوي يشعر بخيبة الأمل ليؤكد عدم استفادة هؤلاء الفلاسفة مع أرسطو عكس ما فعلت أوربا في عصر النهضة.

تأثر اللاحق بالسابق في الحكم على ابن رشد فربطوا سوء الفهم بعدم الاستفادة ومن اللاحقين غنيمي هلال القائل: "ولم يكن لكتب فن الشعر أثر يذكر في الأدب العربي ونقده لأن العرب لم يفهموه ذلك أن أرسطو كتب ذلك الكتاب يعالج فيه الشعر الموضوعي، شعر المسرحيات والملاحم وهو ما لم يعرفه الشعر العربي القديم وهذه حقيقة سبق أن نبهنا إليها في دراستنا هذه ولذلك ترجم العرب المأساة بالمديح والمهزلة بالهجاء مما ضلل في فهم الكتاب ونظرياته" (غنيمي هلال، 1969، صفحة 154).

يؤكد محمد العمري على أن القراءة المناسبة لعمل هؤلاء الملخصين الشراح تتطلب وضع العمل ضمن التصور الفلسفي العام لهؤلاء الشراح، وخاصة فيما يتعلق بالطابع التوفيقي والبعد الإنساني. وبناءً على هذا النظر، سنتوقف عن التحدث عن الانسجام لأنه كان غير ممكن، وستظل الترجمة الحضارية الجيدة مرفوضة داخل الاتحاد" (العمري، 1995، صفحة 81).

هي قراءة ضمن قراءة أو قراءة القراءة قرأ المتأخرون أرسطو من خلال قراءة المتقدمين أي رأوا أرسطو في مرآة الفلاسفة المسلمين وهذا يعني أننا أمام أربعة نصوص: نص أرسطو ونص المترجمين ونص الملخصين الشراح ونص جيل الأساتذة المتأخرين.

تتحكم طبيعة النص الأصلي في كل القراءات اللاحقة له فهو نص كما وصفه تودوروف: "شديد الاختزال إن لم نقل شديد الغموض وكل شيء فيه ابتداء من المفردة والجملة إلى البناء العام ينتظر منا أن نبنيه وهذا يجعل كل ترجمة له مجرد تأويل يخالف بل يعارض التأويلات الأخرى، فنحن حين نقرأ الترجمات نقرأ هذا التأويل أو ذاك لأرسطو [...] ولكننا لا نقرأ أبدا نص أرسطو نفسه" (العمري، 1995، صفحة 81).

هذا حال الترجمات التي لا تعبر في الأغلب عن وجهة النظر فما بالك بالتلخيصات والشروح التي تشرع حضور لمسة الإبداع؟! أو إبداء الرأي والمشاركة الفاعلة عن طريق إقامة الحوار رغم اختلاف المعيار.

في المقابل هناك من يرى أن ابن رشد أكبر من أن يكون مجرد شارح لأفكار أرسطو ونظرياته "بل يظهر لنا جليا من خلال تلك الإضافات الفكرية والومضات الفلسفية التي أضافها على ما لخص وشرح بأن ابن رشد هو فيلسوف عقلاني

وجودي وفي الواقع عرف أبو الوليد عند العرب بفيلسوف العقل لكنه بالرغم من شغفه بأرسطو واعتقاده بالحتمية وبأن العلم مقيد بنظام ثابت ولا يمكن أن يوجد أتم منه آمن في الوقت نفسه بالشريعة التي تحوي أمورا كثيرة يعجز العقل عن معرفتها بنفسه وهي أمور ضرورية لحياة الإنسان وسعادته وهكذا طأطأت حكمة فيلسوف الأندلس رأسها أمام قدسية الشريعة اختار شخصٌ خطًا فلسفيًا توفيقيًا لنفسه، حاول من خلاله دمج العقل والإيمان والفلسفة والدين والحكمة والشريعة والظاهر والباطن. نجح في بعض الأحيان وفشل في أحيان أخرى...." (جهامي، الصفحات 14-15).

ومهما قيل في ابن رشد يبقى بحق فيلسوفا مؤمنا رفع شأن الفلسفة العربية بفلسفته التوفيقية بين الحكمة والشريعة كيف لا وهو القائل في خاتمة كتابه فصل المقال: الحكمة هي رفيقة الشريعة، والشقيقة الصغيرة لها، وهما الرفيقتان اللتان تتبعان بالطبيعة، وتتحابان بالجوهر والغريزة (جهامي، صفحة 15).

يقول اسبنجارن أن ابن رشد:" ربما كان أول من خلط وظيفة الشعر بوظيفة المنطق وجعل من الشعر جزءا –أو شكلا-من المنطق وهذا التقسيم –على ما يبدو-قد لقى استحسانا من فلاسفة القرون الوسطى المدرسين" (أرسطو، د ت، صفحة 51). إذن رغم الاختلاف بين فكري الرجلين إلا أن كتاب فن الشعر لأرسطو دخل إلى الثقافة الأوربية أرسطو كان معروفا بين الأوروبيين في العصور الوسطى باسم الفيلسوف، وعندما يُذكر الفيلسوف بدون ذكر اسمه في كتاب من كتب تلك الحقبة، فإنه يُشير إلى أرسطو. واشتهر ابن رشد بلقب الشارح أو المعقب Commentator، فإذا قيل الشارح أو المعقب في كلام من كلامهم فابن رشد دون غيره هو المقصود، وقد عرف ابن رشد متعلمي القوم بالمعلم الأول وهو لا يعرف اليونانية ولم يكن شيء من كلام أرسطو قد ترجم إلى اللاتينية أو لغة من اللغات الأوربية قبل عصر ابن رشد غير كتب المنطق ثم تنبه علماؤهم إلى ترجمته بعد ذيوع اسم ابن رشد" (محمود العقاد، 2013، صفحة 46).

أحدثت شروح ابن رشد تأثيرًا كبيرًا في عصرها وحتى بعدها. لم يكن هناك فيلسوف أو مفسر آخر له تأثير وانتشار مثل تأثير هذا المفسر العظيم. إنها دروس تحمل عبرة لا يمكن إيجاد مكان أفضل لها من مكان تاريخ فيلسوف حكيم (محمود العقاد، 2013، صفحة 50).

فبالإضافة إلى بعد الأثر نجد قوة الأثر تطبع ابن رشد " وقد رزق ابن رشد خطأ آخر إلى جانب بعد عمله واتساع نطاقه، وهو شدة عمله، وعمق بحثه، وشدة خلافاته فيه" (محمود العقاد، 2013، صفحة 51). "لقد كان ابن رشد محظوظًا لأنه حصل على النصيب الأكمل، ولا تظهر فلسفته في أي مكان دون أن ينشئ مجالًا فيها (محمود العقاد، 2013، صفحة 51).

أثر أرسطو في اتجاه ابن رشد النقدي من خلال فاعلية الحواراختلاف

صفاء عقل ابن رشد، الذي تميز بصدق الفهم وجودة الاستيعاب والأمانة في التعلم والتعليم، يعكس كل من بعد الأثر وقوة الأثر. كان فهمه الكامل يدفعه للتفرد والتفوق على نظرائه. لا شك أنه كان يهتم بشكل كبير بالشرح والتحصيل، ولم يكن يولي اهتمامًا كبيرًا للابتداع والابتكار. (محمود العقاد، 2013، الصفحات 53-54).

عقل ابن رشد هو عقل يتسم بالغلبة على المنطق والبحث العلمي، ويقل فيه نصيب النظر الصوفي الذي يرهبه الغموض. يحتل ابن رشد مكانة مهمة في تاريخ الفكر الإنساني، حيث وصلت أثره وقدرته إلى أقصى الحدود. إنه بالفعل أثر كبير وقدر عظيم في عالم الفكر (محمود العقاد، 2013، صفحة 54).

أحدث ابن رشد ثورة فكرية استمرت لعدة قرون، وأصبحت معروفة بالمدرسة الرشدية. استمرت هذه المدرسة في السيطرة على أوروبا حتى القرن السادس عشر، وهو فترة تستحق أن تسمى العصور الوسطى. كانت هذه الفترة فترة انتقالية حقيقية بين الأساليب القديمة والحديثة، وكانت رابطة بين أرسطو ورواد الفكر فيما بعد. فكلما تم ذكر أرسطو، تم ذكر ابن رشد أيضًا (المدرسة الأرسطية الرشدية).

المصادروالمراجع:

1. ابن رشد، أبو الوليد. (1953). تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ضمن أرسطو فن الشعر. (تحقيق: عبد الرحمن بدوي) بيروت.
2. ابن رشد، أبو الوليد. (بلا تاريخ). تلخيص كتاب فن الشعر.
3. أرسطو. (بلا تاريخ). فن الشعر. (تر: إبراهيم حمادة) مكتبة الانجلو المصرية.
4. جهامي جيرار. (بلا تاريخ). ابن رشد.
5. أرحيلة عباس. (1999). الأثر الأرسطي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
6. العقاد عباس محمود. (2013). ابن رشد. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
7. بدوي عبد الرحمن. (بلا تاريخ). مقدمة ضمن أرسطو، فن الشعر. بيروت.
8. فروخ عمر. (1981). تاريخ الأدب العربي، ج5. بيروت: دار العلم للملايين.
9. خلف الله محمد أحمد. (بلا تاريخ). بحوث ودراسات في العروبة وآدابها. دار الشروق.
10. العمري محمد. (1995). الترجمة والتأويل، الترجمة بالتلخيص والشرح، حول كتاب فن الشعر لأرسطو. المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 47
11. هلال محمد غنيمي. (1969). النقد الأدبي الحديث. مصر: دار النهضة.